نصوص

قصتان قصيرتان

قطار أسمه غاندي

علي السباعي
الناصرية

أن تتأمل الحياة دون ضجة أو شكوى
ربما يكون أفضل المواقف... ألا نشارك في الأشياء
ولكننا آنذاك ونحن نتأمل
سنفهم أن الحياة ليست سوى مزاح ثقيل
مزاح مبتذل وبليد
ولعب أخرق بالألفاظ
الجيل الخائب/ ليرمنتوف

-أكاد.. آسف على أيامي الماضية!
قالها. (غاندي). وتنهد ببطء مفتعل. كأنه يسعى لإخراج كل ألمه على شكل دفعات متقطعة ليوفر بطابع من التناغم الفارغ الذي يجعل صدره واسعاً، أجوفاً كالقنينة الفارغة ليحدث نفسه قائلاً!

-في حالات كثيرة أكاد آسف على أيامي الماضية.

غاندي يجلس لوحده -لكن! هنالك حسب ظني رجل يجلس أمامه يحمل نفس صفاته إلا لون بشرته، فغاندي. -أسود العينين، أسود الشعر، أسمر قصير القامة لكن الذي يناديه كان! -أسود العينين متفحماً كأنه خيال.. ربما يكون خياله.. ففي هذه الأيام كل الأشياء متوقعة الحصول، يقول له باعتدال:

-ليت ألمي الذي أحمله بداخلي يخرج من جسدي ليكون مارداً عملاقاً!

خيال غاندي يبادره بتنهيدة ملؤها الوجع. ليقول بفخر:

-أنا المارد... أنا الملك يا غاندي. سأجعلك تتخلص من كل وجعك ووساوسك بسهولة.

يصفق غاندي كفاً بكف. وكأنه ينفض عنهما سكون الموتى، وهباء كلماته الضائعة في الفضاء ليخاطبه بغضب:

-وكيف ذلك يا مجنون؟

يستوطن على خيال غاندي إحساس بالقوة، ليحدثه مجيباً على تساؤله قائلاً له:

-لأنني ألمك!!

استعاد غاندي بعضاً من إحساسه بسلامة عقله، قال كأنه ينكئ جرحاً يتدفق منه ألم الماضي ووجع المحاولة:

-أنا سعيد بذلك. إنك حقاً مارد عملاق.

يومئ خيال غاندي برأسه دلالة منه على رضائه، فيقوم الخيال بسكب مشروب (الجن) لغاندي يقول له:

-اكرع، واسترح من الماضي.

يشعر غاندي بالهدوء، وتحدث ثمة موازنة داخلية ما بين ألمه وبين ما يكرع من (الجن) فيزداد هدوؤه ويركن إلى الأمان، يقول بعدما فرغ من كأسه:

-أشكرك يا ماردي العملاق!

يتنهد خيال غاندي. وكأنه قد وفق في إرجاع القطار بعرباته إلى مساره بعدما انحرف عن السكة الحديدية.

من جديد يخاطبه قائلاً:

-أتعلم أن الوجع الذي يسكنك منذ زمن بعيد، تستطيع طرده بتنهدات متقطعة لكنها عميقة.. عمق روحك؟

يبادره غاندي متسائلاً بعدما يجلس منتصباً أمامه كأنه أفعى الكوبرا:

-وكيف؟

يتنهد خيال غاندي، ويقول له بثقة المجانين:

-لأن ألمك على شكل قطارٍ ممتلئ بالألم يجرُّ وراءه مقطورات من الوجع المزمن فوق سكة الخيبة بداخلك، عندها تعمل على إخراج ألمك بتنهيدة متقطعة فإنك بهذا تعمل على إخراج وجعك عربة... عربة.

يسكب مزيداً من (الجن) في كأسه، ويكرعه دفعة واحدة يبتسم، وهو يقول:

-أحقاً ما تقوله؟

يجيبه خيال غاندي بثقة، وهو يسكب مزيداً من الجن:

-أجل!

××

كرعهم للجن أهم من اهتمامهم بعقولهم. فالنفوس البشرية تستطيع التحمل ولكنها لا تستطيع الانتظار. لأنها مهيأة للحياة لا للانتظار. فعلاً! أصبح الكل سكارى.. الكل مجانين، وكأن هذا العالم كله مشحون بأناس يظنون أنفسهم ((غاندي))، غاندي قطار حديدي الهيكل، فارغ من الداخل... حقاً! إنه لشيء أشبه بعزف سمفوني رتيب. لكنه يصدر عن عازفين ليس بيدهم آلات، لأن الأوتار كلها قد التهمت غاندي! ينهره خيال غاندي قائلاً:

-أنت متمرد.

هنا -امتلأ فراغ غاندي بغضب على شكل جماد.. استفاق هذا الجماد وتحرك من ركوده- وكان لديه من القوة والإدراك ما يعينه على التمرد والحركة كأولئك العازفين في الهواء دونما آلات موسيقية.. فهم يعزفون لأنفسهم بأنفسهم، يقول بغضب:

-أنت كاذب، كاذب.

يرد عليه خيال غاندي، وكانت كلماته هذه المرة كأنها أوان خزفية لكونها منذ زمن على الرف تملؤها الأتربة فيأتي غاندي ويحطمها كلها:

-يا غاندي. الكل يكذب! الكل يكذب!!

يسحب قنينة الجن من عنقها يحطمها بالطاولة ممسكاً عنقها بيده، يهم على خياله هاجماً صارخاً ضارباً:

-هي... الكل يكذب.. حتى أنا... الكل!

يغرس عنق الزجاج بذراع خياله، تفتق جرح من دماء تتدفق كأنها احتضار الأنهار عند حبسها بسدود، يعالج خياله بضربة تجعل النهار يحتضر وهو ينتظر ولادة المساء.

يسقط غاندي على الأرض، وهو يصرخ:

-الكل يكذب.

×××

حمل فوق أكتاف الندل إلى المستشفى وخياله العملاق ينزف ظلاماً على صاحبه -في المستشفى أخبروه أنه كان سكران وعمل على ضرب نفسه بعنق قنينة (الجن). أتته الممرضة لتعمل له إضبارة أو (ملفاً) للعلاج، وإبدال ضماداته، تقول له بدعابة مرحة:

-ألمك يا غاندي على شكل قطار ممتلئ بالألم، يجر وراءه مقطورات من الوجع المزمن فوق سكة الخيبة.

هكذا كنت تهلوس ليلة أمس.

يضحك غاندي بوهن، لتسأله الممرضة عن مهنته، فيجيبها قائلاً:

-سائق قطار.

وتسأله عن لقبه، فيجيبها وفي عينيه السوداوين ألق ما زال مبكراً فتياً:

- غاندي.

الشعر قنديلي.. وجواهري

ميساء زيدان
دمشق

عيناكَ.. آخرُ ما تبقّى
من نخيلٍ
وشجيراتٍ لزيتونٍ
تظلّلُ بيتناعيناكَ.. آخرُ ما تبقّى
من طيورٍ
هاجرتْ نحو الشمالْ
عيناكَ.. آخرُ ما تبقّى
من دموعِ الياسمين
آخرُ.. ما تبقّى من سنين العُشقِ
في زمنِ اليبابْ
عيناكَ.. آخرُ ما تبقّى
من رسائلِ عاشقٍ
تحكي الغرامْ
وتظلّ ما بينَ التراثِ
وبينَ أرديةِ الكلامْ
عيناكَ.. يا دربَ الحريرِ
ويا قواريرَ المحبّةِ والسلامْ
عيناكَ.. آخرُ ساحلٍ
يمشي اليهِ البحرُ
في خَلَلِ الظلامْ
عجوبةٌ.. أن التقيكَ بصدفةٍ
وبغفلةٍ..
في شطرِ بيتٍ
في مقاطعَ
ينحني جبلٌ.. وهامْ.
. إعجوبةٌ.. والشعرُ يملأ راحتيكَ
براعماً.. زيتاً.. شراعْ..
وأنا.. وجدتُكَ في المآذنِ صرخةً
وعلى الكنائسِ
وردةً..
من زهوها.. رقصتْ لهُ كلُ الحمائمِ..
والبنفسجِ
والمباخرِ.. و
العطورْ..
يا.. صمتَ كلّ قصيدةٍ
كانتْ لأهلِ الفنّ موسيقى
تدورُ على الدروب
أنا.. والقصيدةُ توأمان
أن ألتقيها جمرةً
حيناً وحيناً..
عاشقاً يهوى شفاهي
أو يذوبُ على اللّجينْ
أن التقيها.. حالةً طُهراً
تنامُ.. وتنتقي.. حرفي
وتُغرقني ببحرٍ
بل وتشطرُ خافقي
في فلقتينْ
الشعرُ.. بيتي.. زينتي.. وحمامتي
وجواهري
.. ذنبي.. بأني اتّبعتُ طريقَهُ
وتركتُ خلفي.
كلّ طيبِ مفاخري..

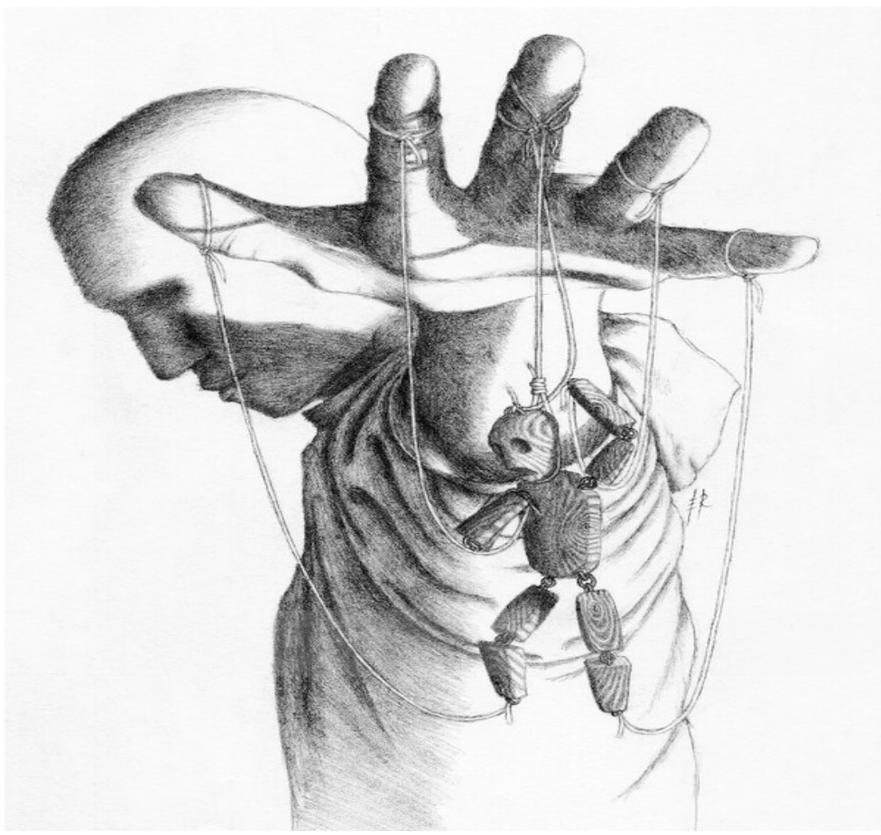

الجالس وحيداً

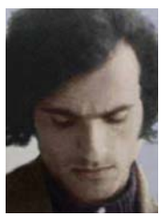

عبد العزيز الحيدر
بغداد

الجالس هناك حول الحوض
الذي يصغي إلى أناشيد المجد القديمة
تلك التي كانت تحرك قوافل الجند المدججين
بالحقد الجميل
والحب المسكر للموت ...كطريق وحيد للخلاص
من عبأ الوطن
الجالس في دائرة الذكريات الهرمة
يصنع حلوى للأموات
الذين تركهم يحترقون في الخنادق
والذين حملهم معه الى الحانات الواطئة
حيث ترتع الحشرات الطويلة الشعر والأظافر
بكؤوس من زجاجات الخوف
وطحالب واشنات الصمت
الجالس هناك إلى دائرة الشك المتسارعة
الحلقات
يرمى بعض المقدور عليه من أحجار الحب الى
المياه الخضراء الراكدة
انه يتخفف من الشموس التي ترعبه من عقود
الجالس إلى الكورال السماوي
الذي يأتي مخدعه فوق المياه كل يوم
الذي يأتيه بنصيبه من الوجع المتجدد
الوجع القادم من كل أطراف الوطن
المنغمس اليدين في كتاب الحزن الأبدي
الوطن الغارق في الحوض الأخضر.

حين يضيع الكلام

ثابت الاعظمي
بغداد

حين ذكرتك غافلتني دمعة مرة اخرى أتواجد امامك ،، أراك لكن في المنام وهكذا هي الدنيا ،، من لم تراهم في اليقظة تراهم في الأحلام بعض الناس كالفراشة محظوظين ، ينتقلون بين الزهور من زهرة الى اخرى والبعض ،، يتنقل من طبيب ألى اخر ،،، أنه الألم يفتش عن الشفاء عن الصحة والراحة ، وشتان بين الأثنين (الدواء ورحيق الزهور) ولكن الدنيا تدور ،، لا القمر يبقى يضيء ولا الشمس دائمة الأشراق بنورها لقد كنت هادىء مطمأن وأن كانت عواطفي تدور في ازقة شراييني .. احترت ماذا أفعل كي القاك ،واضع هذا الكم الهائل من الكلام بين يديك ،!! لاَ جدوى ابقى حائراً ،، اشكو الصوم مع نَفسي منتحباً ،، شاكيا يكاد انيني يخترق اضلعي ويطير اليك كالحمائم ليقدم لك الشكوى والنجوى ،حمَلت باقة زهور واتيتَ اليكِ دون تردد ، ربما خاطرت بنفسي مع هذه المعركة دون معرفتي اكسبها أم اخسرها ،!؟ لكني خاطرت وانتهى الامر ،، وعلى غير العادة ،، تصادق الحظ و تصالح معي ،، عندها قدمت لك نفسي وسبقتني تلكالزهور الجميلة ،،، فمشيناَ بهمس وثقة وفرح يغمر نفسينا مع شيء من التوجس ضاع كل الكلام ،، لكن ايدينا تماست ببعضها وأشتبكت اصابع ايدينا ببعضها ولبرهة من الوقت ، شعرت أن يدي تتعرق ، لم أكن اعلم أن يدي تنتج هذه الكمية من العرق ،، سحب كل منا يده من الآخر بكل هدوء ورقة ، وكل منا مسك منديل يزيل ما غاصت به اصابعنا من تعرق ،،،،، ادركت ما حدث مع احمرار الوجه وشرود الذهن وأنهزام الكلمات ،، يعني الصدق والعفة والنبل بكل معانيه ،، أنها المشاعر الآنسانية التي اهداها الله ووضعها في نفوسنا.